مـــــــــــركز المنبر
للدراسات والتنمية المستدامة
ALMANBAR CENTER FOR STUDIES
AND SUSTAINABLE DEVELOPMENT

تسليح مصطلح "معاداة السامية" أمر خطير للغاية

الكاتب: راشيل شابي

المصدر: صحيفة الغارديان نشر بتاريخ 31 كانون الأول 2024

عن المركز

مركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة، مركز مستقلٌّ، مقرّه الرئيس في بغداد. رؤيته الرئيسة تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام – فضلاً عن قضايا أخرى – ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا تهمّ الشأن السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، والثقافي.

لا تعبر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز وانما تعبر عن رأي كتابها

حقوق النشر محفوظة لمركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة

https://www.almanbar.org

info@almanbar.org

تسليح مصطلح "معاداة السامية" أمر خطير للغاية

الكاتب: راشيل شابي

المصدر: صحيفة الغارديان نشر بتاريخ 31 كانون الأول 2024[1]

تستخدم إسرائيل هذا المصطلح لإسكات منتقدي حربها في غزة، بينما يستخدمه اليمين لمهاجمة المعارضين .

عندما أصدرت المحكمة الجنائية الدولية مذكرات اعتقال بحق مسؤولين إسرائيليين في تشرين الثاني، كان رد حكومة البلاد مألوفاً للغاية. رفض رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو مذكرات الاعتقال بتهمة ارتكاب جرائم حرب مزعومة في غزة ضده وضد وزير الدفاع السابق يوآف غالانت، واصفاً إياها بأنها "قرار معاد للسامية". وأعلن مستشار الأمن القومي المتطرف، إيتمار بن غفير، أن المحكمة أظهرت "مرة أخرى أنها معادية للسامية من جميع النواحي". وادّعت وزيرة النقل، ميري ريغيف، أن "هذه معاداة السامية الحديثة تحت ستار العدالة."

بشكل مؤلم، لم تكن هذه التصريحات بالأمر المفاجئ. فبعد مرور أكثر من عام على الهجوم الإسرائيلي على غزة، والذي وصفه بعض الخبراء بأنه إبادة جماعية، أصبحت الاتهامات بمعاداة السامية وسيلةً للرد على الانتقادات الموجهة لإسرائيل. وقد تم توجيه هذه الاتهامات ضد المتظاهرين الذين يصرخون من أجل وضع حد لإراقة الدماء في غزة وضد الأمم المتحدة ووكالات الإغاثة التي تحذر من كارثة إنسانية. كما تم توجيه الاتهامات ذاتها (معاداة السامية) إلى القنوات الإخبارية العالمية ومحكمة العدل الدولية وضد الممثلين والفنانين ونجوم البوب وحتى صانعي الأفلام البريطانيين اليهود .

إن مثل هذه الادعاءات والاتهامات التي يقدمها المدافعون المتعصبون عن إسرائيل هي كاسحة وتقشعر لها الأبدان لدرجة أن مصطلح "معاداة السامية" بدأ يفقد معناه. إنه بالضبط كما حذّر الفيلسوف البريطاني اليهودي بريان كلوغ قبل 20 عاماً: "عندما تكون معاداة السامية في كل مكان، فإنها لا توجد في أي مكان". ومن المثير للقلق أن إساءة الاستخدام الشاملة حولت هذا المصطلح إلى "سمة في بطاقة أداء البنغو اللغوي لسياسي إسرائيلي ."

كل هذا يحدث في وقت تتزايد فيه معاداة السامية على مستوى العالم. في الأشهر الثمانية عشر الماضية، تعرّضت الجالية اليهودية في بريطانيا لهجمات لفظية وجسدية، حيث كانت المدارس والمعابد اليهودية تتعامل مع تهديدات بالقتل والتدنيس. كما

[1] The term ‘antisemitism’ is being weaponised and stripped of meaning – and that’s incredibly dangerous . https://www.theguardian.com/commentisfree/2024/dec/31/antisemitism-israel-gaza-war-right

تعرضت امرأة يهودية للطعن في منزلها في فرنسا، ووقعت عمليات إطلاق نار في مدارس في كندا، وشهدنا أعمال شغب معادية للسامية في داغستان بروسيا.

في غضون ذلك، يستفيد اليمين المتطرف من الأزمة السياسية الناجمة عن حرب إسرائيل التي غيّرت العالم، وأخذ يستخدم بالتناوب معاداة السامية الفعلية والتظاهر بالاهتمام بها لتعزيز أيديولوجيته المتعصبة. بالنسبة لبعض قطاعات اليمين المتطرف، تمثل معاداة السامية العنصر النشط الذي يدعم أجندة عنصرية معادية للمهاجرين والمسلمين.

يتردد صدى معاداة السامية التي كانت دائماً في صميم نظرية تفوق ذوي البشرة البيضاء، قد عادت مع نظرية " إستبدال المكونات"، وهي المؤامرة التي يُزعم أن اليهود يخططون لها سراً لإغراق الدول الغربية بالأشخاص الملونين.

من ناحية أخرى، بالنسبة للأحزاب اليمينية المتطرفة التي عادت إلى الظهور في جميع أنحاء أوروبا، وفرّت المعركة الأدائية ضد معاداة السامية طريقاً لإعادة التأهيل السياسي. ويظهر القادة المتطرفون، من فيكتور أوربان في المجر إلى خيرت فيلدرز في هولندا، كأبطال أعلنوا أنفسهم للدفاع عن الأقليات اليهودية في صدام مفترض بين الحضارات ضد الإسلام.

كل هذه العوامل، بالإضافة إلى عوامل أخرى، أدت إلى تحويل حوارنا حول معاداة السامية إلى نقاش مليء بالاتهامات والدحض والالتواءات وسوء الفهم، فضلاً عن التفسيرات ذات النوايا السيئة، مما يُنتج نقاطاً عمياء لا حصر لها. إنها نوع من الفوضى المتنافرة التي قد تجعل أي شخص عاقل يرغب في الابتعاد عنها بهدوء. فما الذي ينبغي أن يفعله المتفرج غير المتورط في كل هذا؟ .

خلال بحثي في كتابي الجديد حول هذا الموضوع، أخبرني العديد من الأشخاص الذين تحدثت إليهم أنهم يخشون حتى من طرح سؤال عن معاداة السامية، خوفاً من أن يُفسر ذلك في حد ذاته على أنه معاداة للسامية. هذه علامة واضحة أخرى، إذا كانت هناك حاجة إلى أي علامة إضافية، على أن هناك شيئاً ما قد حدث بشكل خاطئ في الطريقة التي نتحدث بها عن هذه القضية.

لفك تشابك هذه الالتباسات، وجدت أنه من الممكن تحديد موضوعات مميزة بحيث يتم التركيز على الأجزاء المتحركة من هذه الفوضى. بالنسبة للمبتدئين، تُفهم العنصرية عموماً باعتبارها خطاً فاصلًا بين الألوان. في حين أن اختراع مصطلحيّ "الأسود" و"الأبيض" هو المفتاح لفهم العنصرية التي مكّنت العبودية والاستعمار، والتي لا تزال تُلحق أضراراً حتى اليوم، وهذا ما يساعدنا على فهم جذور معاداة السامية بشكل كامل.

تُظهر لنا دراسة تاريخ العنصرية ومعاداة السامية أن هاتين الظاهرتين متشابكتان بشكل وثيق، حيث ساهمت معاداة السامية في تشكيل بنى اجتماعية عنصرية دعمت، إلى جانب عوامل أخرى، ممارسات الإستعمار والإستعباد. كما كشف هذا التاريخ أن البشرة "البيضاء" هي بناء اجتماعي متغيّر، قد أدى إلى تحولات في مكانة مجموعات مختلفة، مثل اليهود، وأثّر على ديناميكيات الهوية والسلطة في المجتمعات الغربية.

هناك نفاق واضح في محادثتنا السياسية حول معاداة السامية، والتي لا تزال تركّز بشكل كبير على اليسار. بينما تدور وسائل الإعلام حول ما إذا كان ترديد الشعارات الفلسطينية المُستخدمة منذ زمن طويل يشكل معاداةً للسامية، تُبرز أمثلة على الكراهية المعادية للفلسطينيين من مؤيدي إسرائيل .

لا يتعلق الأمر فقط بإسكات الأصوات التي تحتج على الممارسات الإسرائيلية في غزة، على الرغم من أن ذلك يعتبر أمراً سيئاً. إذا تم استخدام معاداة السامية بشكل صارخ كسلاح سياسي، فإن ذلك يخلق انطباعاً بعدم الجدية الأساسية حول الموضوع. إن تخصيص مساحات واسعة للاحتجاجات في الحرم الجامعي حول غزة يُشتت الإنتباه ، ليس فقط عن الدمار في القطاع الفلسطيني، ولكن أيضاً عن معاداة السامية الخطيرة القادمة من اليمين المتطرف.

في كتابها الأخير، Doppelganger، تكتب نعومي كلاين عن القضايا السياسية المهمة التي تجاهلها اليسار، والتي تم استغلالها بشكل انتهازي وتحريفها من قبل اليمين. خلال الوباء، على سبيل المثال، تم استغلال مخاوف الناس المعقولة بشأن احتكارات الأدوية لإطلاق مؤامرات اللقاحات. تنطبق نفس الديناميكية الآن على الكفاح ضد معاداة السامية، حيث ملأ اليمين بشكل استراتيجي الفراغ الذي تركه اليسار على مدى عقود. ولكن بدلاً من زيادة الوعي بهذا التحيّز القديم، قام اليمين بتحويل القضية إلى وسيلة لضرب المعارضين السياسيين: أولئك الذين يحتجون على اعتداءات إسرائيل المتعددة وانتهاكاتها للقانون الدولي، وحركةBlack Lives Matter ، وبرامج التنوع والإنصاف، أو الذين تجمعوا في إطار "اليقظة" المزعجة الشاملة. كان التأثير هو زرع الانقسام، وإخراج الحركات التقدمية عن مسارها، وإحباط الجهود المبذولة لتحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية والمناخية، ومساعدة اليمين المتطرف بشكل متزايد على الفوز في الانتخابات في جميع أنحاء العالم.

إن الفهم الحقيقي لما حدث في مناقشتنا حول معاداة السامية، وكيفية تصحيحها، لن يؤدي فقط إلى تحصين اليسار في هذه اللحظة السياسية المُلّحة، بل سيعزز أيضاً مساعينا المناهضة للعنصرية. سينتج عن ذلك الرؤية الشمولية والوضوح الأخلاقي والتماسك. والأهم من ذلك، سيساعدنا على فهم التحوّل المقلق والمثير للانقسام والمُدمّر نحو اليمين في العالم، عندها فقط سنتمكن من تغييره .